المقاربة بالكفاءة وبيداغوجيا تعليم القواعد في المرحلة الثانوية

وصف ميداني

شفيقة العلوي
المدرسة العليا للأساتذة
في الآداب والعلوم الإنسانية

تمهيد

إن آلية التعليم -في عصر العولمة والتكنولوجيا الذي نعيش فيه- أضحت معقدة ومتشابكة الفروع، وتحتاج من الباحثين التوقيف والمدارسة من أجل الكشف عن الأسس التي تقوم عليها والأهداف التي تسعى لتحقيقها والمضامين التي تحتويها كتبها ومدى مسايرتها (أي الكتب) للمناهج التربوية الكفيلة بتثبيت المعارف في عقول التلاميذ بكيفية وظيفية... وسينطلق عملنا -أساسا- من دراسة تطبيقية ميدانية أجريت على عينه من أساتذة مادة القواعد (اللغة العربية) ممثلين لبعض ثانويات العاصمة، وذلك في سنتي 2006-2007. وسيتوقف هذا العمل عند النقاط التالية محاولة وصفها وتقييمها :

1- المقاربة بالكفاءة وإصلاح المنظومة التربوية.
2- صعوبات هذا المنهج البيداغوجي الجديد.
3- المقاربة بالكفاءة وتصميم كتاب القواعد.
4- المقاربة بالكفاءة ومادة الكتاب.
5- المقاربة بالكفاءة وفعالية التحصيل البيداغوجي لمادة القواعد.

إن المقاربة بالكفاءة هي سياسة تربوية ظهرت بالولايات المتحدة سنة 1968 كرد فعل على التقنيات التقليدية التي باتت معتمدة في التدريس، والتي تقوم على تلقين المعارف النظرية وترسيخها في ذهن المتعلم في شكل قواعد تخزينية نمطية إنها (أي

المقاربة بالكفاءة) منهج بيداغوجي يرمي إلى جعل المتعلم قادرا على مجابهة مشاكل الحياة الاجتماعية عن طريق تثمين المعارف المدرسية وجعلها صالحة للاستعمال والممارسة في مختلف مواقف الحياة اليومية[1]... إنها لا تهدف إلى تلقين المتعلم وصبّ المعارف في ذهنه فحسب بل تسعى جاهدة إلى جعله يوظفها في مختلف جوانب حياته اليومية[2]. إن الكفاءة سلوك لغوي ومعرفي قابل للملاحظة، ينعكس -لدى المتعلم- في أثناء مرحلة التقويم التشخيصي. إنها تمكنه من :

- إبراز طاقته وقدرته الكامنة،
- مجابهة الصعاب التي تعترضه في حياته اليومية،
- القضاء على الاتكالية والدونية والروح السلبية وتدفعه إلى الاعتماد على النفس والبحث والمحاججة... وعدم تقبل الأحكام الجاهزة،
- إنها بشكل أعم تهدف لجعل المتعلم يوظف المكتسبات المدرسية العلمية بكيفية ناجعة.

1. المقاربة بالكفاءة وإصلاح المنظومة التربوية

من خلال عينة البحث التي ضمت 100 أستاذ مؤهل لتدريس اللغة العربية وقواعدها، فقد أكدت نسبة 85% ممثلة لـ (85 أستاذ في مقابل 15) أن المقاربة بالكفاءة منهج مناسب يمكن اتخاذه تقنية لإصلاح المنظومة التربوية ؛ لأنه يسمح باكتشاف القدرات الحقيقية الكامنة في المتعلم واستثمارها داخل القسم وخارجه. وبذلك يغدو عنصرا فعالا في العملية التعليمية التعلمية، وأكثر نشاطا وحركة واعتمادا على الذات. أما نسبة 15% من الأساتذة، فقد اعتبرت أن هذا المنهج غير مناسب لتعقده وصعوبة تطبيقه على أرض الواقع لقلة الوسائل التعليمية المعتمدة في مثل هذه المجالات وقلة الندوات التحسيسية وكثافة البرنامج الدراسي وضغطه.

---

[1] المركز الوطني للوثائق التربوية، المقاربة بالكفاءات كبيداغوجيا إدماجية، سلسلة موعدك التربوي، 2005، العدد 17، ص 2.

[2] خير الدين هني، مقاربة التدريس بالكفاءات، ط 1 ؛ الجزائر، 2005، ص 60.

2. صعوبات هذا المنهج البيداغوحي الجديد

ذهب معظم أساتذة العينة (76 أستاذا من مجموع 100) إلى تأكيد صعوبة المقاربة بالكفاءة كمنهج للتطبيق في العملية التعليمية البيداغوجية وذلك :

- لتعقيده ولانعدام دليل للأستاذ يعضده في مرحلة التلقين، ويفي بكل جوانب العملية التربوية التعليمية أو أهم عناصرها.
- لقلة الدورات التكوينية وعدم تماشيها مع متطلبات الأستاذ/المعلم وأهدافه البيداغوجية التي يسعى لتحقيقها في أرض الميدان.
- لصعوبة محتوى بعض الدروس كالتنازع والاختصاص -على سبيل المثال-.

3. المقاربة بالكفاءة وتصميم كتاب القواعد

في سؤال حول علاقة محتوى الكتاب بشكله أو تصميمه ظهرت النتائج التالية :

هل التصميم الحديث للكتاب إيجابي ؟	نعم	65	% 65
	لا	5	%5
	بدون جواب	30	30

إن نسبة 65% من أساتذة العينة اعتبرت أن كتاب اللغة العربية -القواعد- :

- مناسب من حيث تصميمه ؛ سواء أتعلق الأمر بجودة طبعته، أم تجليده ونوعية أوراقه وجمالية ألوانه ووضوح خطوطه.
- ومناسب من حيث مضمونه الذي يربط بين مختلف نشاطات اللغة العربية من قواعد وعروض وبلاغة وتعبير كتابي. كما أنه يحتوى على مشاريع بيداغوجية تنشط المتعلم وتدفعه دفعا للعمل الفردي الإيجابي، مما يكسبه استقلالية الذات وقيادة المجموعة.
- أما نسبة 5% فقد رأت أن تصميم كتاب القواعد غير إيجابي لاحتوائه على أخطاء كثيرة وكثافة موضوعاته وكذا لصعوبة بعضها.

4. المقاربة بالكفاءة ومادة الكتاب

هل مادة الكتاب تتناسب والقدرة العقلية للمتعلم ؟

الإجابة	العدد	النسبة
نعم	82	%82
لا	18	%18

نلاحظ أن أغلبية الأساتذة (82) وجدوا أن محتوى الكتاب مناسب للتطور العصري، ومتماش والظروف المعيشة الاجتماعية للمتعلم، وموافق لطاقاته الذهنية ومكتسباته العلمية والمعرفية، وبخاصة إذا كان المتعلم قد سبق له وأن اعتمد على هذا المنهج (أي المقاربة بالكفاءة) في مرحلة التعليم المتوسط. ورغم ذلك فإن نسبة 90% من الأساتذة يرون إمكانية إسقاط بعض الموضوعات من الكتاب المدرسي لقلة الزمن الذي قد يفي بها، ولكونها مكررة خاصة في نشاطي المطالعة الموجهة والنصوص مثل درس التوكيد الذي تمت برمجته في السنة الأولى ثانوي وكذا في السنة الثانية على حد سواء.

5. المقاربة بالكفاءة وفعّالية التحصيل البيداغوجي

وعن سؤال حول نتائج اعتماد المقاربة بالكفاءة في التدريس، وبخاصة تدريس قواعد اللغة العربية فإن (25 أستاذا مقابل 75) نفوا وجود تحسن أو أثر إيجابي في تدريس النحو وفقا للمقاربة بالكفاءة، والسبب في رأيهم يكمن في انعدام الوقت الزمني الكافي الذي قد يسمح بإجراء تطبيقات على الموضوعات التلقينية المقدمة للمتعلم وفي المقابل فقد ذهب 75 أستاذا إلى تأكيد إيجابية المنهج الجديد (أي المقاربة بالكفاءة) في توفير تحصيل بيداغوجي جيد ووظيفي للمتعلم سيسمح له بالضرورة باستثمار المكتسبات العلمية والمعرفية والتربوية على حد سواء، وتصويب الأخطاء. وتنعكس إيجابيات هذا المنهج التي بدأت تخلو من الأخطاء اللغوية وتنحو نحو التركيب الجيد.

- في أسلوبه وسلوكاته الاجتماعية،
- في كتابته الإبداعية التي لامستها المسحة الجمالية،
- في تعامله مع الموضوعات المدروسة بروح حجاجية ذكائية.

وعن سؤال حول ما مدى قدرة المتعلم على الاستجابة الإدراكية لدروس القواعد إذا ما اعتمدت المقاربة بالكفاءة منهجا للتدريس، فقد رأى (16 أستاذا) أن المتعلم لا يزال يعاني من صعوبة في فهم دروس القواعد واستيعابها مثلما كان الحال مع المنهج التقليدي السابق (أي التدريس وفقا الأهداف) ؛ ومرد ذلك إلى عدم إعطاء الحرية للمعلم (الأستاذ) حتى يتمكن من اختيار ما يناسب الطاقة الذهنية للمتعلم وكذا لقلة الحصص التطبيقية التي تمكّن من ترسيخ المكتسبات.

وذهب أغلبية الأساتذة (84 أستاذا) إلى نفي أي صعوبة قد تعترض المتعلم أثناء تلقيه لدروس القواعد خاصة إذا كان قد تعود على التكوين وفقا للمقاربة بالكفاءة في مرحلة التعليم المتوسط مما يصيّره قادرا على التعامل والمعارف العلمية الجديدة في مرحلة التعليم الثانوي.

وفي الأخير، يمكن حصر أهم النتائج التي أفرزها البحث الميداني فيما يلي :

1. إن أغلبية الأساتذة يفضلون التدريس وفقا لمنهج المقاربة بالكفاءة لأهميته وقدرته على تنشيط الحركة التعليمية للمتعلم.

2. إن نسبة 76% من الأساتذة يجدون صعوبة في التعامل مع هذا المنهج التعليمي الجديد (المقاربة بالكفاءة)، وذلك لانعدام دليل للأساتذة ييسر لهم الأرضية ويكون موجها لهم في العمل، ولقلة الدورات التكوينية التي تعرّفهم بهذا المنهج فيتمكنون منه.

3. ذهب أغلبية الأساتذة إلى أن كتاب اللغة العربية (القواعد) مناسب من حيث التصميم واللّون والخطّ بالرغم من اشتماله على بعض الأخطاء التي يمكن تجاوزها مستقبلا. ويتوافق محتواه أيضا مع القدرة العقلية للمتعلم.

4. وقد مال أغلب الأساتذة إلى إثبات فعالية المقاربة بالكفاءة في تدريس القواعد بالرغم من أن القليل منهم وجد أن آثار هذا المنهج لمّا تظهر بعد في المجال التربوي.

وفي الختام وفي انتظار تأكيد الرأي الحجة، لا بد من مواصلة البحث والمراقبة الميدانية الطويلة لفعاليات هذا المنهج (أي التعليم وفقا للمقاربة بالكفاءة) من أجل تقصّي الحقائق العلمية واستكشاف المنهج الوظيفي فعلا في المجال التعليمي التربوي.

المراجع

المركز الوطني للوثائق التربوية، المقاربة بالكفاءات كبيداغوجيا إدماجية، سلسلة موعدك التربوي، 2005، العدد 17.

هني، خير الدين ، مقاربة التدريس بالكفاءات، ط 1 ؛ الجزائر، 2005.